مجلّة انـــتـحـــــــاء

Journal
Available online at:www.ens-ouargla.dz
ISSN :2992-1546المجلد (2) العدد (4) (2025): رقم صفحة البداية89 – رقم صفحة النهاية 102

الجائحة و الغلق في قصة" الرصيف الحافي " لسليم بتقة

The Pandemic and the Lockdown in the "Salim Betqa's "story (*The Bare Pavement)*

أ. عبد القادر العربي
kaderla14@gmail.com
جامعة محمد بوضياف - المسيلة

تاريخ الاستلام:2025/09/07 تاريخ القبول: 2025/10/01 تاريخ النشر2025/10/18

الملخص

الأزمات الإنسانية ترافق البشرية في كل تاريخها القديم و المعاصر ، و تتجدد بصور متعددة، وتعتبر الأوبئة من الوقائع التي تقضي على الحياة و تهدد البقاء كغريزة لدى الإنسان و الكائنات ، و في عصر التقدم التكنولوجي و التطور يفاجئ الإنسان بالوباء العابر للقارات و المجتمعات و تقف آلة الطب بكل ماتملك عاجزة عن التصدي، إنه وباء كورونا الذي خلق الفزع و القلق و لا يزال شبحه بيننا ، هذا القلق الإنساني انعكس على الكتابة الإبداعية حيث فرض الغلق على الأقلام أن تبدع و تتحدث عن مآسي الناس و قصة – الرصيف الحافي – للمبدع سليم بتقة من مجموعته القصصية - كونفينيس –رصيف من أرصفة الغلق على المعيشة اليومية و الأرزاق التي ضاع في دهاليزها التاجر و العامل البسيط ، أفق جعل من شخصية مرزاقة امرأة صامدة في وجه الوباء و العناء .

الكلمات المفتاحية : الأوبئة ، الرصيف الحاقي ، الغلق ، الجائحة ، الإبداع...

Abstract

Humanitarian crises accompany humanity in all its ancient and contemporary history, and are renewed in multiple ways, and epidemics are considered to be one of the facts that eliminate life and threaten survival as an instinct of man and beings, and in the age of technological progress and development man is surprised by the epidemic of transcontinental and societies and the medical machine with everything it has is unable to respond, it is the Corona epidemic that created panic and anxiety and continues to ghost among us, this human concern It was reflected in creative writing where the closure forced the pens to be creative and talk about the tragedies of the people and the story - the barefoot pavement - of the creator Salim with the certainty of his collection of stories - Convenis - a sidewalk of the pavements of closure on daily living and livelihoods that lost in its corridors the merchant and the simple worker, a horizon that made the character of Merzaqa a woman steadfast in the face of epidemic and hardship.

How did the text present to us the situation of the woman fighting with her diary during the days of the pandemic and the harshness of the lockdown?

Is hope and facing pain inevitable and unchosen to confront simple people?

Does the barefoot sidewalk have the power to survive in times of epidemic, disease and the absence of medicine ?

Keywords: crises, humanity, epidemics, epidemics, pavement, lockdown, pandemic...

مقدمة

لزمن طويل قبل انتشار فيروس كورونا كان موضوع الوباء تقليدا أدبيا مبثوثا في التاريخ الأدبي ، فقد تناول عدد من المبدعين قصصا إنسانية تتراوح بين الألفة والفراق ومشاعر من فقد حبيبه أو عزيز عليه بالوباء ، وكذلك المحاصرين في الحجر الصحي أو الخائفين من العدوى أو الفارين من الموت ، فعمل إبداعي ما قد يؤرخ لزمن يسهم فيه الأدب بدوره لتسجيل تلك اللحظة بحلوها ومُرّها ، فالأدب ليس عملا ميكانيكيا بل يقتضي إلهاما واشتغالا على المادة بأريحية وثقة وإبداع وحتى عنفوان ، فحين نقرأ الأعمال المشهورة التي أرّخت للأوبئة مثل " الطاعون " لألبير كامو و" الحب في زمن الكوليرا " لغارسيا ماركيز و" إيبولا 76 " لأمير تاج السر " والرصيف الحافي " لسليم بتقة نكتشف أكثر عن أزمنة الأوبئة ونستحضر الظروف الصعبة التي مرّ بها الإنسان ، وكذلك الحال في عصرنا مع كورونا فالأدب له مساهمته في تأريخ اللحظة وإثراء المجال وكل مبدع هو ابن بيئته يستلهم منها المعيش اليومي والواقع لكن بقراءة المبدع وبجمالية إبداعه ، فجائحة كورونا قد فاجأت الجميع وأربكت حسابات الناس بمن فيهم اهل الثقافة والمبدعين إذ في ظرف قصير ووجيز انتقل الناس من مجرد متفرجين على الوباء والأرقام التي تجود بها وسائل الإعلام إلى معنيين به بشكل مباشر ، فمن الطبيعي أن يتأثر المبدع بأجواء كورونا عالميا ومحليا سلبا أو إيجابا وكثير من النصوص الإبداعية استلهمت هذه الجائحة وأرخت لتلك اللحظة ، فما المقصود بأدب الأوبئة ؟ وكيف تعامل معه أهل الإبداع ؟ وهل نستطيع اعتبار الأدب مقاومة للأوبئة والكوارث ؟

تاريخ أدب الأوبئة :

أدب الوباء في الغرب :

تُمثلُ الآداب الغربية جزءا مهما من التراث الإنساني والمتمعن لتاريخ الآداب الأوربية وحتى الأمريكية خلال مسيرتها الطويلة عبر التاريخ يقف على علاقاتها الوطيدة بالفترات التاريخية البارزة في مجتمعاتها ، ويمكن اعتبار هذه العلاقة بمثابة تفسير منطقي لكافة الظواهر والتيارات الأدبية التي عاشها المجتمع الغربي ؛ لأنّ ما يحدّدُ تاريخ المراحل والتيارات الأدبية ليس تتالي القرون بل الأحداث والمؤثرات الكبرى التي تترك بصماتها على الحركة الأدبية فتدخل فيها عناصر جديدة أو تحوّل تيارها إلى وجهة أخرى ، ومن خلال تتبع بعض

النصوص الادبية التي تحمل عناوين دالة على أسماء بعض الأمراض والأوبئة إذ نجد في العصور الوسطى وفي أوربا بالذات وبعد الحروب الصليبية عاشت فرنسا وانجلترا سلسلة من الحروب ، عُرفت بحروب المائة عام وخلال هذه الحروب ظهر الطاعون الرهيب في أوربا عام 1348 م ، والذي تسبب في موت ثلث سكان أوربا " وقد بذل أدباء من فرنسا وايطاليا والسويد والدانمارك وألمانيا جهدا كبيرا لكشف الوباء ومدى تأثيره على الإنسانية ، فقد تناوله الأديب الفرنسي " جوفاني بوكاتشيو " في أهم منجز أدبي له والموسوم " بديكاميرون " والذي كتبه بين عامي 1350 – 1353 م وهي مجموعة أقاصيص تجمع بينها فكرة واحدة استمدها من أحداث حياتية وقعت في فلورنسيا أو ضواحيها ، وأمثلة ونوادر شعبية وقصص وفدت إلى ايطاليا من بلاد الشرق على شاكلة ألف ليلة وليلة "[1]، تبدأ الديكاميرون بوصف للطاعون الذي انتشر في فلورنسيا عام 1348 م وتعرض للصور المروعة التي خلّفها في المدينة ، وتُقدّمُ صورة واضحة للمجتمع المذكور الذي خنقه الرعب والخوف من الطاعون المُحيط بالناس من كل جانب ، ووضع في المقابل لوحة طريفة لمجموعة صغيرة من القصاصين تتألف من سبع سيدات وثلاث شبان انعزلوا في بيت ريفي خارج المدينة هربا من الطاعون المرعب والرهيب ، إلا أنّ قراء الديكاميرون لم يهتموا بالوباء كموضوع في هذا النص بل اعتبروه رمزا يسخر من تزمت وتحجر العصور الوسطى وسيطرة الكنيسة ورجال الدين ، هذا النص يراه النقاد برهانا على أنّ الحركة الإنسانية تيار يعكس مطامح الأوساط الكبيرة من الشعب ، ومن النقاد من رآه حاملا تباشير عصر النهضة والدعوة إلى البرجوازية الصاعدة لغلبة العنصر النسوي وانتماء الشخصيات لأسر ميسورة الحال، وعنون الفرنسي ألبير كامو رواية ألفها عام 1947 م ووسمها " بالطاعون " والتي تروي زمن الطاعون بمدينة وهران الجزائرية التي اجتاحها الوباء فجأة ودون سابق إنذار ، كما تصف لنا تصرفات الإنسان واستخفافه وتهكمه الذي استبدله بالإذعان والرضوخ للواقع بعدما ازداد انتشار الوباء ، ولقد استطاع الوباء أن يصنع نوعا من المقاومة الداخلية إذ غيّر كثير من السلوكيات والطبائع والتصرفات التي كان يعيشها الإنسان يومئذ ، ورغم أنّ الرواية تُختمُ ببعض الأمل في إيجاد العلاج الناجع الذي ينقذ الناس من الموت المحتوم إلا أنها تُختمُ بموعد يتجددُ معه الوباء ، مادام الاستهتار واللامبالاة مستمرة بين أفراد الشعب فهذا الوباء لا يموت ولا يختفي وإنه يستطيع أن يظل عشرات السنين نائما في الأثاث واللباس وفي كل شبر من زوايا البيوت والأماكن ، ويظل يترقبُ بين الحين والآخر عودته أملا في إضافة أرقام جديدة لتعداد الأموات ، وأنّ يوما قد ياتي ونصبح فيه على خبر انتشار عدد

هائل من الجرذان والحيوانات الناقلة للمرض ولات حين مناص ، وربما كورونا الفتاك هو الوباء المتجدد وهو امتداد لطاعون ألبير كامو ، مع أنّ الكثير يرى أنّ الرواية انتقاد للفاشية التي كانت تزحف في أوربا قبل الحرب العالمية الثانية ورمز لها كامو " بالطاعون " وأنّ ماكان يشغله بالأساس هو الكتابة ضمن التيار الوجودي وفي كل الروايات سواء المعنونة باسم الوباء أو الحاملة لعناوين غير مباشرة دالة على فتك الوباء تتخذ من الإنسان موضوعا لها حيث نجد قصيدة ملحمية موسومة " بالرجل الأخير " للشاعر الفرنسي جان غرانفيل عام 1805 م ورواية " عيون الظلام " للامريكي دين كونتز التي كُتبت عام 1981 م على أنها رواية رعب وخيال علمي ، فأحداثها تتشابه مع أحداث الواقع الراهن بشكل مثير للدهشة فقد أشارت فيما يشبه الاستشراف إلى زمان ومكان ظهور وباء كورونا ورواية " نهاية العالم " لستيفن كينغ التي ألفها عام 1978 م نالت شهرتها في زمن ظهور فيروس كورونا الفتاك ، إذ تبدأ نهاية العالم من شيء تافه مثل الانفلونزا أين تمّ تعديل هذا الفيروس في المختبرات العلمية العسكرية السرية ليصبح سلاحا فتاكا ، كذلك رواية " العمى " للبرتغالي خوسيه ساراماغو والتي ألفها عام 1995 م وقد تناولت وباء يصيب البشر بالعمى ويرمز من خلالها للعمى الفكري والحضاري وللأخلاق البشرية والمبادئ الإنسانية في زمن الوباء إذ تدور أحداث الرواية حول اجتياح وباء لمدينة عامرة بالسكان وفيها يأتي كاتبها على سرد تداعيات تفاقم الأوضاع وفقدان البصيرة الإنسانوية أمام فردانية العدمية الفوضوية ، وتأثير كل ذلك على النظام الأخلاقي وتفكك المجتمع، أما رواية " الطاعون القرمزي " لجاك لندن والتي صدرت عام 1912 م فهي تروي قصة أحداث استشرافية لعام 2073 م حيث كانت هناك حمى نزفية عالمية قد انتشرت كالنار في الهشيم منذ عام 2013 م حتى أنها قضت على أغلب سكان المعمورة لذلك سيصبح هذا الطاعون بمثابة واقعة تاريخية فارقة ، يتخذها من نجى منه كفاصل بين عالم ماقبل الطاعون العالم المتمدن والمتحضر وعالم ما بعد الطاعون ، العالم الذي تكاد فيه أن تندثر الحضارة الإنسانية والتقدم المعرفي والتطور المجتمعي فحاول من تبقى إنقاذ ما يمكن إنقاذه حتى وإن كان ما يتذكرونه عن عالم ما قبل الطاعون يبدو لهم وكأنه مجرد وهم ، فالطاعون حسب الرواية انتشر في الأرض لحوالي ستين عاما ، وفي الرواية على لسان ساردها يأخذ أستاذ عجوز على عاتقه مهمة ضمان استمرارية الحضارة الإنسانية وإحياء ثقافتها من خلال ما كان يقصه ويحكيه للأطفال من ذاكرته التي خزنت كثيرا من الأحداث المتتالية وكل أمل في انبعاث الحضارة الإنسانية من جديد ووقوف الناس على أرجلهم والعودة للحياة

بشكل طبيعي ومرن ، وفي روايته " الحجر الصحي " التي صدرت عام 1995 م يروي جون ماري لوكليزيو قصة أخوين على متن سفينة ووجهتهما موطنهما الأصلي غير أنه في لحظة فارقة ما حصل توقفا للسفينة في ميناء زنجبار وحينها تُكتشفُ إصابة فردين من مسافري السفينة بالجدري القاتل وهو ما اضطر السلطات المعنية بالأمر لفرض حجر صحي على المُصابين إلى أجل غير مسمى ، إذ حاول السارد في الوقت ذاته نقل معاناة المُصابين بالوباء وخوف المعزولين بالقوة من الوباء إصابتهم بالعدوى وعندها تتفاقم الأزمة وتتعمق جراح الجميع ، لكن رغم الوضع الصحي المزري حاول أحد الأبطال أن يُوجد لذاته وسط هذا الفضاء الموبوء والكارثي الباعث على التشاؤم فسحة أمل وفرح وتفاؤل ليخرج الحاضرين مما هم فيه من قلق وحيرة وتذمر من الحاضر والمستقبل ، إذ اتخذ طريقا لنسان مما هم فيه وذلك بالتأمل في الطبيعة وأحوالها وتذكر اللحظات الجميلة وأيام السعادة التي كان قد عاشها قبل هذا المأزق الطارئ الذي حل بهم ، فحاول إرسال شفرات ورشائل لمن هم حوله بضرورة التمسك بالنجاة والتفاؤل بالخير وينبغي أن يتصفوا بكل صفات السعادة والحبور ، حتى لا تتسلل لنفوسهم الطاقة السلبية فتدمر ذواتهم ويندثروا جميعا فيهلكوا وفعلا حاول مع أقرب الناس إليه وقد استطاع أن يبث شيئا من الطاقة الإيجابية لتتحرك النفوس نحو الأفضل والأحسن وليفكر الجميع في مخرج للضيق الذي هم فيه وهكذا تستمر الرواية على هذه الشاكلة ليتحقق الأمان والأمل المنشود ويعم الفرح الجميع .

أدب الوباء عند العرب :

عانى المجتمع العربي منذ القدم من انتشار الأوبئة والأمراض لكن التاريخ الأدبي لم يؤرخ لآثار هذه الأزمات ولم يصف أحول الناس وصراعهم مع هذه الجوائح فالمؤلفات التي تناولت الأوبئة غلب عليها طابع التوثيق ، ولم يتخذها الأدباء والمبدعون موضوعات هامة لمتونهم فحتى حكاية ألف ليلة وليلة لم يرد فيها ذكر للأمراض والأوبئة ، كما أنّ العصر الأموي شهد أوبئة متتالية لم نجد ذكر ا لها فيما وصلنا من إبداع ، وكأنّ موضوع الوباء قبل انتشار فيروس كورونا كان موضوعا تقليدا أدبيا متضمنا في التاريخ الأدبي ، ومع مرور الزمن بدأ الكُتّاب والمبدعون يتناولوا موضوع الأوبئة التي عاصروها أو سمعوا بها ، " فنجد طه حسين في كتابه " الأيام " تحدث عن انتشار وباء الكوليرا في مصر مع أنّ نقادا كثرا رأوا بأنّ هذا العمل هو سيرة ذاتية لطه حسين كتبها في سياق خاص ولم يهتموا بحديثه عن الوباء فقد أشار "طه حسين " في الجزء الأول إلى انتصار الكوليرا في مسقط رأسه وكيف أنه فجعهم في أخيه ،ونجد " الحرافيش " لنجيب محفوظ التي صدرت عام 1971 م و التي

قدّم فيها وصفا وافيا لانتشار الوباء في حارات مصر وفتكه بأهلها غير مُفرّق بين الغني والفقير باستثناء البطل عاشور الناجي ، وهناك من جعل الوباء أساس الحكي الروائي مثلما نجد في رواية " إيبولا 76 " الصادرة عام 2012 م للسوداني أمير تاج السر إذ تحكي هذه الرواية من بين ماتحكيه فظاعة وشراسة وباء افريقيا بامتياز حصد أرواحا كثيرة وشتت شمل عائلات كانت مجتمعة هنا وهناك[2] ، وتبقى من أهم المحاولات في هذا الباب سلسلة " سفاري " ابتداء من علم 1996 م للمرحوم أحمد خالد توفيق التي خصص رواياتها بالكامل للحديث عن المشكلات الطبية في القارة السمراء بيد أنه في تضاعيف حبكاته الروائية المتعددة يفاجئنا أحيانا بقدرته الغريبة على التنبؤ والتوقع في مجال ظهور الأوبئة والجوائح لذلك ذُكر اسمه بقوة بعد انتشار جائحة كورونا خاصة في العالم العربي ، وكان لألم المرض نصيب وافر في كتابات المبدعين العرب كما فعل بدر شاكر السيّاب وأمل دنقل والسوداني يوسف بشير وغيرهم كثير وجسدت بعض الروايات المرض وسردته كتجارب ذاتية مثل ما فعل الطاهر بن جلون المغربي في روايته " استئصال " والمصري وائل وجدي في عمله " ساقي اليمنى " وقد فعلت نعمات البحيري الأمر ذاته في نصها " يوميات امرأة مُشعّة " وما قصيدة " الكوليرا " لنازك الملائكة منا ببعيد التي أرخت للوباء الذي أتى على كل شيء ، وقد برزت في وطننا الجزائر نصوصا سردية يمكن اعتبارها تدخل ضمن الأدب الوبائي كما كان مع نص " هالوسين " لاسماعيل مهنانة الصادر ة عام 2018 م إذ تروي هذه الحكاية فيروسا أفقد الناس علاقاتهم بماضيهم التليد وقد أتى على ذاكرة معظم البشر فخربها تخريبا كليا ، وصاروا خاضعين لصوت داخلي يدفعهم نحو الموت والهلاك الأكيد ، وهي سرد متخيل من أحداث واقعية تتخذ منها ذريعة للغوص في جانب خفي من كوارث طبيعية وبشرية حدثت بالفعل بمدينة الجزائر في تسعينيات القرن الماضي ، في تاريخ الجزائر المعاصر محطات تاريخية وُصفت في الرواية بأنها أوجدت البيئة المناسبة لانتشار فيروس " هالوسين " الذي ظهر ببلادنا مع العشرية السوداء أو الحالكة زمن القتل غير الممنهج ، حيث كان الجميع ينتظر الموت في أي لحظة وفي ذلك الزمن ظهرت أخبار عن انتشار وباء خطير يحوّل الإنسان إلى إرهابي خطير متعصب له رغبة جامحة للانتحار والموت لنيل الجنة ؛ لأنّ هذا الوباء من طبيعة غير طبيعية يضرب الجهاز الفكري عند الإنسان خصوصية هذا الوباء أنه ينتقل من خلال الكلام وهو كثير الانتشار بسرعة فائقة في أوساط البيئة المتدينة تدينا مغشوشا وغير واع ، فالرواية لم تتطرق إلى الوباء كخطر

بيولوجي بل قُدّمت كتمثيل رمزي لمشكلات سياسية ودينية عانى منها المجتمع الجزائري وسيظل يعاني منها إن لم نستئصل جذور هذا الوباء من أصله ونريح الناس منه إلى الأبد .

الرصيف الحافي سرد يوثق للحظة فارقة

في مجموعته القصصية الجديدة " كونفينيس " الصادرة في جوان 2020 عن دار أمل بتيزي وزو " الجزائر " حاول الكاتب والمبدع المتميز سليم بتقة توثيق مرحلة انتشار جائحة كورونا التي هزت العالم وخلخلت كيانه وتركته مدهوشا فاغرا فمه لا يدري ما السبيل للخروج من هذا المأزق الصحي والإنساني ، تدور أحداث القصة في مدينة بسكرة بالجنوب الجزائري حيث اجتهد كاتبها في رصد التغيرات التي حدثت في حياة ساكنة بسكرة خصوصا والجزائر عموما ، منذ انتشار فيروس كورونا والحرج الذي وقع فيه الناس ، إذ بدأت بنقل الحدث كما سمعه أو شاهده السارد بقوله " أُغلق سوق الجمعة وهو سوق شعبي بقرار من السلطات المحلية مع ظهور وباء كورونا خوفا من التجمعات والازدحام ، وقد تضرر التجار من غلق السوق فلم يعد لديهم ما ينفقونه أو يسددونه لأصحاب المحلات دون احتساب المصاريف اليومية الأخرى ، دأبت " مرزاقة " في الأيام الأولى من قرار الغلق على المجيء إلى السوق تجلس أمام محلها الصغير المغلق ، تتحدث بهاتفها النقال وبصوت يسمع من بعيد عما لحق بها جراء قرار الغلق خاصة وأنها أرملة تسعى وراء " خبزة " عائلتها "[3]

فالكاتب هنا حاول أن يعطينا صورة عامة لحال الناس ضمن معترك الحياة وخاصة زمن انتشار الوباء وكيف قاومت الأنثى مصاعب الحياة رغم قلة ذات اليد ، خاصة وأن السيدة مرزاقة فقدت زوجها منذ الأيام الأولى لبداية توسع انتشار مرض كورونا ولا بد لها من إظهار سمتها وقوة شخصيتها أمام بنات جنسها وأولادها وأنها قادرة على تحمل تبعات كل ذلك في أناة وصبر وتحد لكل شيء ، رغم الداء والارتباك النفسي الذي حبس أنفاس الجميع وظل الناس ينتظروا هذا القادم غير المرحب به ليبعثهم وراء الشمس ، ولكن حنكة مرزاقة وتجاربها في الحياة علمتها عدم الاستسلام والدعة بل شجعتها الأزمة على إظهار تجلدها وقوة شخصيتها ، وسلامة تفكيرها العميق للخروج بأقل الأضرار وتحدث التوازن في الأسرة وتحمي ذاتها وأولادها من هذا المارد الجديد الذي يميز بين البشر . ومع توقف مظاهر الحياة تغير نظام زمن الأسرة وتعطل كل شيء وكأن البشرية لم تكن تنظر صدمة من هذا النوع القاتل ، فقد ساد الرعب جميع أنحاء المعمورة والأماكن وبات فيروس كورونا يحصد أرواح البشر على امتداد القارات ومما زاد من منسوب الخوف عند الناس هو التهويل

الإعلامي الذي صاحب ظهور هذا الوباء وانتشرت الأخبار الكاذبة والسلبية بين عموم البشر وضاقت الأرض على الناس بما رحبت ، وما إن فرضت السلطات المحلية فكرة التباعد بين الناس حتى ازداد خوف الصغار من ابتعادهم عن أمهاتهم في حالة تأكد إصابتهن بهذا الداء ، فالبنت الصغرى لمرزاقة ترفض رفضا قاطعا فكرة الابتعاد عن أمها إذا ما أصيبت بالداء الفتاك ولن تبرح أمها إقامة وسفرا ، والأم مرزاقة مضطرة لترك فلذات كبدها عند جيرانها لتبحث لأفراد أسرتها عن مؤنة تجدها هنا أو هناك لتعيل صغارها وتحميهم من المجهول ، فالأحداث التي عاشها العالم من رعب وخوف من الموت المحقق ونقص الامدادات الطبية والصحية وامتلاء المصحات والمستشفيات بالمصابين عاشها المجتمع الجزائري في سنوات الجمر قبل الاستقلال وبعده مع التفلت الأمني واختلاط المفاهيم بين هذا الطرف و غيره المختلف معه في الفكر والطرح ، وبالتالي كانت الصدمة ربما قليلة على النفوس نظرا لامتحان الشعب في أزمات مشابهة لهذه الأزمة الخانقة والمخيفة ، والرصيف الحافي هي مجرد عينة من المجتمع الجزائري الذي عاش كثيرا من الأزمات ولكن الله حماه منها ، فموضوعها هو انتشار كورونا ولكن عرجت على مضامين أخرى لتذكر الناس بضرورة إحياء كثير من الأخلاق التي اضمحلت مع مرور الزمن كالتنبيه لخلق التعايش واحترام الآخر وضرورة إشاعة صفة السلم والطمأنينة عند الإنسان الجزائري حتى يعيش الجميع في أمان وسلام ، وقد حاول السارد إظهار قوة شخصية المرأة الجزائرية مدى صبرها على الأزمات وتدارك أمورها بذاتها دون الاستسلام والركون للتفكير السلبي " لجأت مرزاقة لتجارة الأعشاب الطبية لتتدبر أمورها فهي محل ثقة زبائنها منذ مدة، طلب مني أحد الزملاء إحضار عشبة طبيعية من عند مرزاقة لعلاج مرض السكري فهي منذ مدة ما عادت تأتي لدكانها بسبب الغلق ، رحت أبحث عن مسكنها في الأحياء الشعبية حيث المنازل الرخيصة الثمن وبين أكوام التراب في الشوارع الضيقة يقع مسكنها ، خبطت على الباب .. سمعت صوتا نسائيا مرتفعا يسأل من ؟ زبون ، فتحت مرزاقة وكان شعرها منكوشا لم تهتم أن تمشطه منذ لا أدري، وجهها أسمر مشوب بزرقة وحول عينيها هالات من الزرقة مرتدية جلبابا فوجئت بي ، وجمت لحظة لمنظرها لم أرها من قبل بهذه الصورة ، فكل المساحيق وأيام ما قبل الحجر كانت تظهرها بشكل مختلف أم هي البطالة وهمومها ؟ اعتذرت لي عن مظهرها وأخذت منديلا طويلا كانت تشد به وسطها وربطت به شعرها المنكوش ، قالت إنها لم تتوقع زيارة زبائنها وأنني الوحيد الذي جاء يطلب حاجته

قلت إني جئت أطمئن عليك بعد أن لاحظت غيابك عن مكانك المفضل أمام دكانك المُقفل ..."[4]

فالسارد هنا ينقل لنا تفاصيل حياة مرزاقة بعد الغلق كيف واجهت هذا الأمر المستحدث وهي التي تعودت أن تذهب كل صباح باكر لفتح محلها لترتزق منه وهي كلها أمل وتفاؤل لغد أفضل ، لكن دوام الحال من المحال فقد حولت نشاطها لبيتها المتواضع في أحد الأحياء الشعبية وكلها مشاط وحيوية لا ستمرا الحياة فلا يأس مع الحياة ولا حياة مع الياس ، فثقة زبائنها وإخلاصهم لها جعلهم يسألون عن أحوالها وكيف هي أوضاعها بعد الجائحة التي عكرت صفو حياة الناس وأربكت حسابات الجميع وتركتهم في حيص بيص ، ولم تتوقع مرزاقة زيارة زبائنها لبيتها لأنها ظنت بأن الجميع مهتم بنفسه ولا يبالي بالآخر ولكن أهل الخير في مجتمعنا الجزائري هم الغالبية يعطفون على المحتاج ويواسون المُصاب وإن لم تظهر سلوكاتنا في الأزمات ووقت الشدة فمتى تظهر ؟ إنّ مواساة المكلومين والأرامل والمحتاجين هي سمة الكبار والمؤمنين حقا ولا خير في مجتمع لا يتراحم أفراده فيما بينهم ساعة العسرة .

شعرية العنوان و أبعاده الجمالية

يعد العنوان أحد أهم العتبات المُشكّلة لبنية الفضاء النصي فهو بالإضافة إلى كونه أيقونة بصرية يشكل أبعادا وظيفية لها قيمتها الاستراتيجية فإنه يمثل علامة جوهرية تسهم في تسريع فاعلية التلقي المثمر والكاشف لهوية النص بمضامينه الدلالية ، ذات الأبعاد المقصدية والتي يؤدي فيها العنوان دور المفتاح الإجرائي الذي يمكن المتلقي من ربط الصلة بينهما على اعتبار أنه يمثل تلك العلامة اللغوية التي تتقدم النص وتعلوه ، ويجد المتلقي فيها ما يدعوه للقراءة والتأمل ويطرح من خلالها على نفسه أسئلة تتعلق بما هو آت والمبني على ترسبات الماضي ويضع لنفسه منها أفقا للتوقع ، "وتنهض استراتيجية صناعة العنونة على عديد المقاصد التي يروم الباث إرسالها وهو يشيد فاتحة نصه ، وتكمن أهميته في كُنه العلاقة الجامعة بينه وبين النص الأدبي كيف وهو علامة مشحونة بالدلالات الإيحائية المعبرة عن عالم النص المكتنز بالمرجعيات التي تستدعي القراءة التأويلية العميقة التي يعد العنوان واحدا من مفاتيحها الجوهرية وهو الأيقونة المختزلة لعالم المتن "[5]،

"لذا يعتبر العنوان لدى السيميائيين بمثابة سؤال إشكالي ، بينما النص هو بمثابة إجابة عن هذا السؤال ولذلك فهو يحيل إلى مرجعية النص ويحتوي العمل الأدبي في كليته وعموميته ، كما أنّ العنوان يعلن عن طبيعة النص ومن ثم يُعلن عن نوع القراءة التي تناسب هذا النص "[6]

والعنوان الذي اختاره الكاتب فيه من الدقة والجمالية مافيه ذلك أن " الرصيف الحافي " تتناص مع الخبز الحافي فكل منهما دل على المعاناة والضيق والحرج والعنت ، وهذا ما أراد أن يشرحه لنا سليم بتقة في متنه السردي إذ أوحى لنا برسائل داخلية تنبئ المتلقي بأن موضوع المتن فيه ضيق وحرج ، وعلى المتلقي أن يدرك ذلك من خلال طبيعة شخوص المجموعة القصصية ونص " الرصيف الحافي " على الخصوص ، فالمتمعن للفظة الرصيف توحي له بأن من يقف عليه أو ينتظر فيه، هو بحاجة لمساعدة من الآخر فتظهر تلك الصورة القاتمة من شدة الحرارة وقسوة البرودة على من يكون بهذا المكان ، ثم لفظة حاف توحي بالفقر المدقع وحالة التعاسة التي يعيشها صاحبها حينئذ ، " فالخبز الحافي " لمحمد شكري وصف فيها صاحبها أصعب فترات حياته وهي فترة طفولته وصباه في المغرب والتي اعتبرها فترة سوداوية في حياته ، إذ لم يجد فيها رغيف الخبز مما اضطر أسرته إلى التنقل والترحال لمدن مثل طنجة وتطوان ، والسبب هو الهروب من المجاعة المحدقة به وبأسرته وفقدان الرعاية والاهتمام لدرجة ذكره لإخوته الذين وافتهم المنية بسبب الجوع وقلة الرعاية الصحية ، إذ كان يدخل في شجارات مع والده الذي كان يضربه ضربا مُبرّحا ومؤذيا إذ نجا من بطشه لولا رعاية الله له مما اضطره للمبيت في الشارع مع المشردين والمتسكعين ، فقد عاش متسولا وفي هذه الرواية لفت محمد شكري نظر المتلقي إلى ما هو مسكوت عنه من آلام يعانيها أي إنسان يعيش في المجتمع العربي ، وهذا ماركز عليه سليم بتقة في الرصيف الحافي إذ نبه لبعض المسكوت عنه في مجتمعنا ، ويصل محمد شكري بالقارئ إلى أعمق الأفكار الخاصة بجدوى الوجود في ظل المآسي التي نعيشها يوميا ، فهو قد نظر للحاكم نظرة سوداوية قاتمة وشديدة الظلام ، نتيجة تسلط المسؤول العربي على رقاب أفراد مجتمعه وركوبه عنوة وبدون سابق إنذار وفي مقطع آخر يروي لنا السارد معاناة مرزاقة من ضيق الحال وقلة المؤنة فيقول " ... لم تعد مرزاقة تقدر على حمل الأكياس هكذا أسرّت لي كما كان الحال في السابق ، تحسست جلد البطن الذي تكرمش بمرور الزمن ، عرفت أصابعها مكان الفتق الذي أصابها منذ سنوات من ساعتها وهو يتسع ذهبت إلى الطبيب فلم تجد حلا غير الجراحة ، سألته عن المدة والتكاليف فأخبرها بأنّ المبلغ

سيكون في حدود العشرة ملايين ، وقد يستغرق الوقت شهرا كاملا حسبت الأمور في ذهنها من أين لها بهذا المبلغ ؟ منذ مدة لم يدخل بيتها سنتيما واحدا ، لا دخل لها سوى ما كانت تحصل عليه من دكان الأعشاب المُغلق ، حياة الأسرة من اليد إلى الفم ما تأتي به اليد يبتلعه الفم ، نصحوها بإجراء العملية في المستشفى العمومي فقالت أنّ كل الذين دخلوه بأقدامهم خرجوا منه على خشبة لا يؤنس وحشتها سوى خوفها من الغد الذي ستقضيه ، ولا كيف سيمر عليها ؟ لا يأتي الصباح حتى يكون الصداع قد هدم عظام الرأس وأكل نور عينيها ، همُّ النهار يكبس عليها بعد همّ الليل فكرت في العمل في الحمّامات غير أنّ الطبيب كان قد حذّرها من حمل الأثقال والقفز والجري بسرعة خوفا من اتساع الفتق وإلا ستخرج أحشاؤها "[7]

فسليم بتقة مولع بالعنونة والتي يجد فيها راحة ومقصدية فلا يخلو نتاجا من إبداعه إلا وبرزت فيه تشكيلات مختلفة من العناوين الرئيسة و الفرعية فمجموعة " كونفينيس " تزخر بكثير من العناوين الصادمة والمُدهشة ذات الدلالات المتعددة ، والتي تتطلب من المتلقي إعمال فكره عميقا لاستنطاقها واكتشاف مخبوئها وأسرارها الجمالية والفنية ،

ترجمة حياة سليم بتقة

أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد خيضر، من مواليد 10 مارس 1960 بسيدي عقبة ، مسؤول ميدان التكوين بقسم اللغة والأدب العربي، عضو اتحاد الكتاب الجزائريين، فرع بسكرة. عضو اللجنة العلمية للمنتدى العربي التركي للتبادل اللغوي. عضو لجنة قراءة وتحكيم في مجلات علمية محكمة. رئيس مشروع "التعدد اللغوي في الخطاب الروائي الجزائري" قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة. عضو وحدة بحث بعنوان: التفاعل بين الأدب الجزائري والفنون الأخرى، برئاسة الدكتور لعلى سعادة، عضو وحدة بحث بعنوان: الذات في الخطاب الأدبي الاندلسي في القرنين الرابع والخامس للهجرة، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة

كاتب له أعمال في الرواية والقصة والمسرح. يرأس تحرير مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، وهي مجلة علمية محكمة، جامعة محمد خيضر، بسكرة.، حاصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الحاج لخضر بباتنة، تخصص أدب جزائري حديث، يعمل مسؤول شعبة التكوين بقسم اللغة والأدب الجزائري. درّس بجامعة محمد الصديق بن يحيى بجيجل، والآن يشغل مدرسا بقسم اللغة العربية بجامعة محمد خيضر بسكرة. له أكثر من

أربعين منشورا في مجلات محكمة وغير محكمة. له تسع مؤلفات مطبوعة بدور نشر وطنية ودولية. شارك في العديد من الملتقيات داخل الوطن وخارجه. أشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه، كما ناقش عديد الرسائل في الماستر و الماجستير والدكتوراه. كما أنجز العديد من الخبرات لملفات الترقية، وتحكيم الكثير من المطبوعات البيداغوجية لزملاء العمل. عضو الهيئة الاستشارية لعدد من المجلات الجامعية.

خاتمة

كورونا ضيف ثقيل حقا لكنه أعاد تشكيل حياتنا رغم رفضنا استقباله والانزعاج منه هذا الفيروس الضعيف نجح في اختراق أعتى الحصون وأعمق الأماكن ، نجح في اختراق الدوائر المحيطة بنا والتي كنا نعتقد انها توفر لنا الحماية كما منحنا وقتا للعزلة مع أنفسنا وقتا لإعادة حساباتنا ، تغيّر الكثير من عاداتنا ويو

مياتنا فقد اكتشفنا أننا أضعف بكثير مما نظن واننا لسنا بالقوة التي خدعنا بها أنفسنا ، عندما تتغير الأفكار تبدأ رحلة البحث عن قناعات جديدة ، قناعات تناسب الأفكار وتتغير نظرتنا للأمور من خلالها ، فترى للإبداع زوايا جديدة زوايا مهجورة لم نكن نرتادها ، فمن كان لا يؤمن بسحر الوطن سيجد في الوطن الملاذ والسكن ، سيتغير الكثير وستلوح في الأفق بدايات جديدة ونهايات غير متوقعة الجمال في حياتنا ، الزحام الذي كان يؤنسنا قد يصبح مصدر إزعاج وخوف والوحدة قد تصبح هي الأمان ، سنعيد قراءة البشر ونعيد ترتيب الأصدقاء على رفوف حياتنا ، من كان يحتل الرفوف الأولى قد يصبح في الرفوف الأخيرة وقد يغادر نهائيا ، لقد وُفّق سليم بتقة لحد بعيد نقل صوت إحدى المدن الداخلية المخنوقة تحت وطأة جائحة كورونا فقد رصد كوفيد من عين المكان ومن بؤرة الموت ، حيث وصف السارد الدمار النفسي الذي أحدثه الوباء والسلوك غير المسؤول أحيانا لبعض المواطنين وعدم احترامهم للتعليمات الصحية حفظا لأرواحهم ، كما تحدث بكثير من الشوق والحنين عن مدينة بسكرة وقد مزج الخيال بالواقع ليطعم سردياته بجمالية متناهية ليتقبلها المتلقي وهو راض عن العمل المقدم له خاصة وأنها كُتيت في ظرف اتسم بالخوف والوجل من المجهول ، إذ فقد أعز صديق له كان من المقربين في حياته وبالتالي فالنص جاء معبقا بشيء من هذا وذاك بين الأمل والخوف ، إنّ مجموعة " كونفينيس" للمبدع الجزائري سليم بتقة حملت الكثير من المعاني و القيم الإنسانية في شخوصها وأحداثها ، وعبّرت بصدق عن نفس تحترق لواقع مرير فكانت سيكولوجيا الإبداع مرتبطة

أشد الارتباط بتجربة إنسانية واسعة ظلّلتها الجائحة بظلالها ، فكانت القراءة التأويلية للنصوص السردية عند كاتبنا هي المنهج القويم ، لقد حاول سليم بتقة أن يُمجّد صورة المثقف النوعي الفعال والمتحرر من كل القيود ، إذ يبزغ في سمائه نجم الرقي في الفكرة ووجه الالتزام بالقلم الحر ، مُقوّضا كل البناءات السردية الهشة والاختلالات الفكرية المُضلّلة ، لقد جمع في نصوصه حنينه للعدالة الاجتماعية والثورة على الظلم والسياسات القمعية لأخطائنا الفلسفية في الحياة ، ولبوحنا المتأزم ولأسرارنا الخفية وطقوسنا الاستعلائية ، عبّر بصدق عن ازدواجية أحكامنا وعن قراراتنا المتسرعة وخيباتنا المتكررة ، عن صورتنا أمام الآخر عن قلقنا الوجودي ووضعنا الهامشي الهش والفوضوي .

قائمة المصادر والمراجع :

1 – أحمد بوحسين ، **العرب وتاريخ الأدب** ، ط1 ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، 2003 م .

2 – أحمد مداس ، **لسانيات النص " نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري** " ، عالم الكتب ، ط1 ، إربد ، الأردن ، 2007 م

3 – جميل حمداوي ، **السيميوطيقا والعنونة** ، عالم الفكر ، مج 25 ، ع 23 ، الكويت ، مارس 1997 م .

4 –. سليم بتقة ، **كونفينيس " مجموعة قصصية** " ، دار الأمل ، تيزي وزو ، 2020 م .

5 – عماد حاتم ، **مدخل إلى تاريخ الآداب الأوربية " الآداب الأوربية حتى القرن التاسع عشر** " ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا وتونس ، 1979 م .

---

[1]. عماد حاتم ، **مدخل إلى تاريخ الآداب الأوربية " الآداب الأوربية حتى القرن تاسع عشر "** ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس 1979 ، ص 80.

[2]. أحمد بوحسن ، **العرب وتاريخ الأدب** ، ط1 ، دار توبقال للنشر ، المغرب ، 2003 ، ص 50

[3]. سليم بتقة ، **كونفينيس " مجموع قصصية** " ، دار الأمل ، تيزي وزو ، 2020 ، ص 107 .

[4]. سليم بتقة ، **كونفينيس " مجموع قصصية** " ، مصدر سابق ، ص 108 .

[5]. أحمد مداس ، **لسانيات النص " نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري "** ، عالم الكتب ، ط1 ، إربد ، الأردن ، 2007 م .

[6]. جميل حمداوي ، **السيميوطيقا والعنونة** ، عالم الفكر ، مج 25 ، ع 23 ، الكويت ، مارس 1997 م .

[7]. سليم بتقة ، كونفينيس " مجموع قصصية " ، مصدر سابق ، ص 110